مقتطفات من كتاب

جحا الضاحك المضحك

عباس العقاد

حدوتة كتاب

إليك لأنك تعرف لماذا!!!؟

كبسولة خير للبرمجيات

مصطفى علي سيد

(أبو مهاب)

https://cap-khir.com

sedratalmontha@gmail.com

الكلمة أكبر الفتوح الإنسانية في عالم الكشف والاختراع، لو لم يخترعها الإنسان لوجب أن يخترع ما يساويها وينوب عنها؛ لأنه لا حياة له بغير التفاهم بينه وبين أبناء نوعه، ولا تفاهم على شيء من الأشياء بغير الكلمة أو ما يدل دلالتها ...

الضحك ضحوك عدة إذا صح هذا التعبير، وليس بضحك واحد ونحن نضحك لأسباب كثيرة، ولسنا نضحك لسببٍ فردٍ لا يتعدد، ويوشك أن يكون لكل حالة من حالات ضحكتها التي تصدر عنها ولا تصدر عن حالة غيرها، كأنما هي لغة كاملة على أسلوبها في التعبير.

هناك ضحك السرور والرضا، وهناك ضحك السخرية والازدراء، وهناك ضحك المزاح والطرب، وهناك ضحك العجب والإعجاب، وهناك ضحك العطف والمودة، وهناك ضحك الشماتة والعداوة، وهناك ضحك المفاجأة والدهشة، وهناك ضحك المقرور، وضحك المشنوج، وضحك السذاجة، وضحك البلاهة، وما يختاره الضاحك وما ينبعث منه على غير اضطرار.

ومنها الظن المختلف، وهو يتوقف على الموقف، وتعدد المشتركين فيه، ووجود اللبس الذي يدعو إلى اختلاف الظنون، ومثاله قصة عن أربعة في مقصورة قطار: فتاة حسناء، وامرأة عجوز، وكهل فرنسي، وضابط ألماني أثناء احتلال الألمان باريس. ودخل القطار نفقًا فسُمِع في المقصورة صوت قبلة وصفعة، ثم خرج القطار من النفق وهم صامتون وعلى وجه الضابط الألماني أثر صفعة، فقالت المرأة العجوز لنفسها: «ما أطهرها من فتاة!» وقالت الفتاة الحسناء لنفسها: «عجبًا له! يقبِّل العجوز ولا يقبِّلني؟» وقال الضابط الألماني: «يا له من فرنسي خبيث! غنم القبلة، وغنمت أنا الصفعة!» وقال الفرنسي: «لقد نجوت بها، قبَّلت ظاهر كفي وصفعت الألماني، ولم يتهمني أحد!»

والمفارقة إحدى هذه المضحكات، وعلى نحوها نصيحة الناصح: «لا تقصَّ على الأصلع حكاية يقف لها الشعر، فهو جهد ضائع»، وعلى نحوها تحذير المحذر: «لا تقتل الرجل الذي قبَّل زوجتك اليوم، فإنك لم تقبلها منذ سنة!»

- لا تطرد الذبابة من جبهة امرأتك بمطرقة!
- لا تقلق إذا علمت أن كل شيء يذهب في الغسيل، حتى البدلة!
- لا تنتفخ وأنت تعلم أن الصفر أسمن الأرقام!
- لا تحمل هم الزبدة، إنك تصنعها من حشائش الأرض، متى تيسرت البقرة!
- لا تتردد في بذل النصيحة، لا أحد سيسمعها.
- لا تعمل بنصيحة، وأولها هذه!

قالت سارة يومًا، بعدما استعادته شرح فلسفة الدومينة للمرة الخامسة أو السادسة أو السابعة: أَوَلا تستمتع بشيء إلا أن تكون له فلسفة؟

قال: لا، بل أنا أستمتع بالشيء ثم أبحث عن فلسفته، وإنني لأبحث عن فلسفته كما يجيل الشارب الكأس في جميع جوانب فمه ولهواته، كي لا يبقى جانب من النفس لا يأخذ نصيبه من متاعه، فأحسه وأعمله وأذكره وأفكر فيه وأستقصي معناه ...»

الفيلسوف الباكي والفيلسوف الضاحك

وقبل أن نأخذ في تلخيص آراء أفلاطون وأرسطو لا ننسى من السابقين لهما في تاريخ الفلسفة اليونانية اسمين متناقضين كان كلاهما مادة من مواد الضحك وشاهدًا من الشواهد التي يسوقها المعنيون بتعريفاته وتقسيماته، وهما الفيلسوف هيرقليطس المولود في القرن السادس قبل الميلاد، والفيلسوف ديمقريطس المولود في القرن الذي يليه.

فالأول كان يلقب بالفيلسوف الباكي؛ لأنه كما زعموا كان دائم البكاء لا ترقأ له عين ولا يبتسم له ثغر، ولا يزال ناعيًا على قومه سوء ما صنعوا وما يصنعون في أمورهم العامة والخاصة.

والثاني كان يلَقَّب بالفيلسوف الضاحك؛ لأنه كما زعموا كان دائم الضحك لا يكف عن الابتسام أو القهقهة ولا يكرثه خطب من الخطوب جلَّ أو هان.

جاءت الإشارة إلى الضحك في القرآن الكريم مرة في قصة إبراهيم، ومرة في قصة سليمان عليهما السلام.

ففي قصة إبراهيم يقول إبراهيم حين زاره الملائكة فلم يعرفهم وخافهم، ثم بشَّروه بولادة إسحاق من زوجته سارة: ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ * وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ * قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [هود: ٧٠–٧٢].

فهنا خوف فاطمئنان فبُشْرَى مفاجئة على غير انتظار، فتعجبٌ لا تملك سارة أن تجهر به فتقول: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾.

والنكات التي شاعت في مصر على عهد «قراقوش»، ودوَّنها «ابن ممَّاتِي» في كتابه المسمى «الفاشوش في حِكم قراقوش» وليست كلها من تأليفه وابتكاره، بل هي مما يشيع مجهول المصدر ثم يقاس عليه ويظل في طي الكتمان إلى حين.

وإحدى هذه النوادر أو النكات قد سبق لها نظير في النوادر التي استشهد بها فرويد وهي نادرة الحداد المحكوم عليه بالموت.

قيل إن غلامًا لقراقوش قتل نفسًا فحكم عليه بالشنق، ثم تشفع لديه الشفعاء وقالوا له: إنه حدادك ينعل لك الفرس ويخدمك، فإن شنقته لم تجد غيره، فنظر قراقوش ناحية الباب ووقعت عينه على رجل قفاص فقال: هذا القفاص لا حاجة بنا إليه، فاشنقوه في مكان الراكبدار. وهي وظيفة الغلام الحداد عنده!

وعلى هذا المثال تجري النوادر «القراقوشية» التي أثبتها «ابن مماتي» في كتابه أو تناقلها الرواة على لسان غيره.

واستعار حلة كبيرة من جاره. ثم أعادها إليه وفيها حلة صغيرة، فسأله جاره: وما هذه؟ قال: هذه بنتها، ولدتها عندنا. فتقبلها جاره ولم ينكر عليه.

ثم استعارها مرة أخرى ولم يردها، فلما سأله عنها، قال: البقية في حياتك، إنها ماتت عندنا في النفاس ... رحمها الله.

قال صاحب الحلة متعجبًا: أيموت النحاس؟

قال جحا: من يلد يموت، وقد يموت في النفاس.

وفي ختام هذه الخاطرة أقول: إن «الرحمة ليست إذن حيلة اخترعها الضعفاء لمصلحتهم كما افترض النيتشيون، ولكنها طبيعة من طبائع الإنسان، والفرق فيها بينه وبين الحيوان فرق بين دماغ ودماغ، فذهن الإنسان لارتقاء تركيبه يأخذ الشبيه بالشبيه، وذلك ما لم يصل إليه الحيوان.»

وفحوى هذه الآراء في مجموعها أن الشعور بالمضحكات والمحزنات ملكة إنسانية وُجِدت في الإنسان ولم توجد في الحيوانات؛ لأنه يدرك المشابهة ويحس بالتعاطف ويستدعي الخواطر من قريب أو بعيد.

وللأجوبة المسكتة نصيب وافر من أساليب الضحك عند فرويد، وهذه أمثلة منها:

كان القيصر أغسطس يسيح في أرجاء ملكه فلمح شخصًا يشبهه كل الشبه، فسأله: أكانت أمك تعمل في بيتنا؟

فأجابه الشبيه الجريء: كلا، بل كان أبي!

وكتاب «الأمثال» أكثر الكتب في العهد القديم إشارة إلى الهزء والاستهزاء وهو تكرار يوافق طبيعة السفر كله؛ لأن الأمثال سفر الحكمة والتجربة وهما نقيض الاستهزاء الذي يستخف صاحبه بجميع الأمور ولا يزال كذلك حتى تهديه تجارب الأيام إلى الاعتبار بالحوادث وبعد النظر في عواقب الأمور، فإذا هو ينظر إليها كما قال الشاعر العربي:

أمور يضحك السفهاء منها ... ويبكي من عواقبها اللبيبُ

وطاف مفتش من مفتشي الدعاية بين الفلاحين المتذمرين فقال في بعض القرى للشاكين من قلة الطعام والكساء: «ماذا تقولون؟ أتشكون من أبدع المذاهب الاجتماعية من أجل لقمة وخرقة، فماذا عساكم قائلين لو رأيتم الأفريقيين العراة الذين لا يعرفون الخبز ولا الطعام المطبوخ في مجاهل القارة السوداء؟!»

فحك أحد السامعين رأسه وقال: «أظن يا حضرة الرفيق أن هؤلاء سبقونا إلى أبدع المذاهب الاجتماعية!»

بل ربما قيل عن جحا إنه نصر الدين التركي، وقيل عنه إنه أبو الغصن العربي الفزاري، وقيل عنه إنه من النوكى الهاكعين، كما يقال عنه إنه من أصحاب الحالات والكرامات من المتسترين بالولاية وهم يجهرون بالهذر والبلاهة.

ثم يقول الميداني بعد ذلك: «وجحا اسم لا ينصرف لأنه معدول من جاحٍ مثل عمر من عامر. يقال جحا يجحو جحوًا إذا رمى، ويقال: حيا الله جحوك؛ أي وجهك.»

(١-١٧) دعوى بدليلها

وادعى الولاية، فسأله السامعون عن كرامته، فقال: أتريدون مني كرامة أعظم من علمي بما في قلوبكم جميعًا؟

قالوا: وما في قلوبنا؟

قال: كلكم تقولون في قلوبكم إنني كذاب!

رجلان من أصحاب الملايين صنعا صورة لهما عند رسام مشهور، وعُرضت الصورتان في معرض عام وبينهما فجوة تتسع لصورة ثالثة، فقال أحد الناظرين وهو يتأمل الصورتين وينظر إلى الفجوة التي بينهما: هاهنا مُتَّسع لصورة السيد المسيح.

وسمع الواقفون كلمته وعلموا أنه يقول عن صاحبي الملايين إنهما لصان؛ لأن القصة المسيحية تقول إن السيد المسيح وُضع على الصليب بين لصَّين،

وعلموا أيضًا أنه يعني أنهما يستحقان الصلب كما استحقه أولئك اللصان، ولكنهم ضحكوا. وسمع صاحبا الصورة ما قيل فلم يجدا سبيلًا إلى مؤاخذته أو رفع أمره إلى القضاء، ولعلهما لو فعلا لاتهمهما الناس بالجلافة وجرًّا على نفسيهما من السخرية ما كانا في غنًى عنه.

في الإنجيل

أما في العهد الجديد فقد جاء ذكر الضحك في إنجيل لوقا على لسان السيد المسيح حيث يقول وقد رفع عينيه إلى تلاميذه:

ورفع عينيه إلى تلاميذه وقال طوباكم أيها المساكين؛ لأن لكم ملكوت الله. طوباكم أيها الجياع الآن؛ لأنكم تشبعون. طوباكم أيها الباكون الآن لأنكم ستضحكون.

وهنا يأتي الضحك مقابلًا للبكاء ولا يخلو من دواعي الضحك في جميع الأحوال وأهمها تبدل الحالة والمقابلة بين النقيضين.

وهذه الشواهد من هذه الكتب الدينية التي يقرؤها المؤمنون بها ويقدسون ما فيها خير ما يستشهد به على طبيعة الضحك في حالات متعددة؛ لأن هذه الدواعي تبرز في مواضعها بروزًا واضحًا بما يقابلها من شعور القداسة، وتنبِّئنا عن أناس متباعدين في الأزمنة والأمكنة والطبائع والأخلاق، فنعلم أن الإنسان إنسان في كل زمان ومكان، وأن الضحك خاصة إنسانية تعم بني الإنسان.

وتلي هذه الأمثال الفرنسية طائفة في مثل عددها من الأمثال الألمانية، وهذه هي:

- سفينة وتدها من الذهب ترسو في كل ميناء.
- إن لم تكن مطرقة فكن سندانًا.
- الكيس الفارغ لا يقف مستقيمًا.
- بطن فارغ أشجع من رأس ملآن.
- الضرير أقل عثرات من البصير.
- من بدأ بالألف انتهى إلى الياء.
- التخمة أقتل من الجوع.
- طريق الشحاذ لا ضلال فيه.
- آدم وحواء أكلا التفاحة، ونحن نطالب بقائمة الحساب.
- امرأتان طيبتان في الدنيا: إحداهما ماتت والأخرى مفقودة!
- المرأة التي لا يصحبها أحد يصحبها الجميع.
- يضحك من الندوب من لم يعرف الجراح.

أمثال فارسية

- الصدق والسُّكْر زميلان.
- الحب والعطر لا يختبئان.
- الخادم الجديد أسبق من الغزال.
- ليس القلب مائدة تبسط لكل ضيف.
- الذهب والحجر من معدن واحد في الصندوق.
- الخائط عريان والإسكاف حافٍ.
- الجاهل لا نفع فيه، لا هو إنسان ولا هو حمار.
- يبيع الجلد قبل صيد الغزال.
- من دواعي الرثاء أن تنفق الذهب في الطلاء.
- لا لزوم للسمك في بركة بلا ماء.
- الكلام يلد الماء والأمطار تلد الثلوج.
- ما الفائدة؟ عندما أستطيع لا أعرف وعندما أعرف لا أستطيع!

وهذه متفرقات بعددها – اثنا عشر – من أمثال الأمة اليابانية في معارض شتى من حكمة الحياة:

- الحب لا يميز بين «الميكاد» والفلاح.
- قد ترى السماء من ثقب إبرة.
- صدر الإنسان أصون الصناديق لأسراره.
- نصف الناس يضحكون من النصف الآخر، والنصفان حمقى
- إذا تقدمت الحماقة رجعت الحكمة.
- أعتى العواصف لا تثير الموج في أعمق الآبار.
- ما من شجرة تحمل الأرز مطبوخًا.
- لا السكير يدري بعار الخمر ولا المفيق يدري بسلطانها.
- لا يرجع الضحك بما أذهبه الغضب.
- المبالغة في التحية ازدراء.
- أجمل الغلال نبت في حقول الآخرين.
- اقرض نفسك تعلم لماذا يصيح المقروض.

والأمة الفرنسية أشهر أمم الغرب بالفكاهة فيما تداولته الألسنة من شهرة الأمم.
وهذه متفرقات من أمثالها:

- لا تذهب الفضيلة بعيدًا إلا أن يكون الغرور في ركابها.
- حب الذات أبرع المتملقين.
- المذنب المحبوب سرعان ما تنكشف براءته.
- خيال بلا علم أجنحة بلا أقدام.
- الحمقى القدماء أحمق من إخوانهم المحدثين.
- البساطة المفتعلة تكلُّف مطلي.
- لا يقول عن الحظ إنه أعمى إلا الذي لا يراه.
- تزيدنا السن حمقًا كلما زادتنا حكمة.
- أصدقاؤنا الأعزاء يقولون كما نقول.
- الحب مملكة المرأة.
- للقلب منطق لا يعرفه المنطق.
- الذي يحسن الحساب لا يثق في حساب.

وجاء في القرآن الكريم عن قصة سليمان عليه السلام: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ [النمل: ١٨-١٩].

فهاهنا عوامل الضحك على سجيتها ماثلة في نقائضها الدقيقة ومصاحباتها التي تقترن بها على حسب هذه المناسبة دون غيرها، وهي مناسبة مخالفة في بعض أجزائها لمناسبة الضحك في قصة إبراهيم.

هنا الفارق الشاسع بين ضآلة النمل وبين ضخامة الملك الذي أوتيه سليمان.

وهنا عجب سليمان من ظن النملة أنه لا يدري بموقعها ولا يشعر بها ولا يفهم عنها ما تقول.

وهنا رضي سليمان بما تفيضه نعمة الملك العريض في نفسه من السعة والغبطة وتلهمه من الشكر والخشوع، وكل ذلك آت من حيث لا ينتظر، من نملة ضئيلة تخشى أن تحطم هي وواديها كله ولا يشعر بهم سليمان العظيم.

وورد الضحك في آيات متفرقة بمعنى السخرية والاستهزاء، فجاء في سورة المطففين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ * وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ * وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ * وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ * فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين: ٢٩-٣٥].

فالضحك هنا مقترن بالتغامز الخفي، كأنما يحسب المستهزئون أنهم يستغفلون المؤمنين الذين يمرون بهم فيسخرون منهم بالتغامز بينهم، ويضحكون إذا التفت إليهم المؤمنون على حين فجأة فلا يملكون إخفاء العبث والسخرية، كما يحدث دائمًا بين المتغامزين إذا انكشفوا وامتنع عليهم الكتمان والتمادي في الاستهزاء من وراء الأنظار.

والضحك الأخير يأتي حين لم يكن في الحسبان؛ لأن الكفار كانوا يضحكون فإذا بهم قد انقلب عليهم الأمر فهم أضحوكة للضاحكين، وهؤلاء وادعون على الأرائك ينظرون.

وجاء في سورة الزخرف: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * فَلَمَّا جَاءَهُم بِآيَاتِنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ﴾ [الزخرف: ٤٦-٤٧].

وضحك المفاجأة هنا واضح من طلب الآيات ثم إخلاف ظن موسى – عليه السلام – لأنهم عبثوا به وهو ينتظر منهم بعد مجيئهم بالآيات أن يؤمنوا، فإذا هم يفاجئونه بما لم ينتظر من إصرارهم على الكُفران.

سبحانك اللهم وبحمدك
نشهد أن لا إله إلا أنت
نستغفرك ونتوب إليك

إلى لقاء مع ملخص لكتاب جديد

حسابات حدوتة كتاب

للاندرويد
https://play.google.com/store/apps/details?id=com.BookHdotah

للكمبيوتر والايفون
https://www.cap-khir.com/android/BookHdotah/PHP/Book_show_simple.php

يوتيوب
https://www.youtube.com/channel/UCTG5AYoNunvwpHnPEybZxRg

فيسبوك
https://www.facebook.com/hdoott

واتساب
https://chat.whatsapp.com/GRX8q4psOOVEsaVTvcYLeD

تلجرام
https://t.me/Book_hadotah

شاركونا كتبكم على هذا الرابط
https://www.cap-khir.com/android/BookHdotah/PHP/coments_form.php

او في قسم (شاركنا كتاب) بقائمة التطبيق

كبسولة خير للبرمجيات
مصطفى علي سيد
(أبو مهاب)

www.cap-khir.com
sedratalmontha@gmail.com
+201001490077 - +96890968355